

حب المنطق

للأستاذ ثروت أباطه

—»»»»»—

بعد أن ظهر مقال بالرسالة يحمل هذا العنوان ، جمعتني بالرفاق ندوة جرى فيها حديثهم حوله . قال أحدهم :

— عرضت لنا في هذا الأسبوع شخصية غربية لم تر لها مثيلا بين المجتمع ! وقد عرض صديقك آراء عجيبة من الحب وأطلقها في جرأة تدفعها ثورة الشباب ، وإن حاول هو أن يكسوها وقار الشيوخ .

قلت : لا تقس أني لم أعلن موافقتي على رأيه .. وأنا عرضته متخففاً من تبعته .

— يزعم صديقك ..

— لا تناقشني .. فأنا معه على موعد هنا .

وحان الموعد ، وجاء الصديق ، وعرفوه وعرفهم ، وإطمان بنا المجلس ، ولكن لم يكذب بطلان حتى التفت إلى الصديق يكسر وجهه عتب وغيط وقال :

— ماذا ؟ أصبحت تؤثر قلبك على صداقتك ؟ قلبي أفتح لك وأنا ضنين بما يحوى ، وأنت تعلم ، فلا تعف بك الأمانة عن إظهاره للناس جميعاً . ثم لا تكفني بذلك ، بل تعرفني بأصداقتك ، وتغبرم أني صاحب ما قرأوه من الآراء ! هل أصبحت الأسرار ...

— هوّن عليك . إن الجالسين أصدقاء قدام ، لم تواني الفرصة لأعرفهم بك . ولكنني عقدة الصداقة بينكم منذ أن عرفتهم ؛ فسرك عندهم في أمان . أما أني أعرض قلبك ، فوافقه ما قصدت إلى ذلك ، وإنما هي آراء جديدة لم أسمها ، ولا بد لها أن تُسمع ، ولا أحد من القراء يعرفك .

هدأ صديق بعض الشيء . وكاد أن يجري الحديث إلى غير ما كانوا آخذين فيه ، لولا أن تشجيع أحد الأصدقاء وعاد إليه يقول — الآن وقد أوضح لك صديقك مكاننا منه ومكانك منا

فهل لنا أن نسألك بعض الإيضاح لآرائك . . . قلت إن للعقل عاطفة يتحكم بها في القلب فهل تعني أنت القلب إذا أحب

يذهب إليه العقل قائلا : لا ؟ إن هذه لا تنفك .. إن تلك التي اخترتها لا تصلح لك ، إنها ليست من طبقتك ، فيطبع القلب ويسلم القياد ، وينحرف عما اندفع إليه وسيبحث عن غيرها ؟ ؟ إذن لا تعترف أنت بما تراه من كوارث الحب ، ثم إن هذا القلب الهادي المستكين . كيف تجسر فترميه بأنه أحب ؟ ؟ أيجب وقيل النصيحة ؟ ؟

قال الصديق : إن العاطفة الجياشة القوية التي يزخر بها القلب المحب هي التي تنشأ عن معرفته بالحبيبة ودراسته لها ، فلا يمكن أن أصدق إنساناً وقع في الحب منذ النظرة الأولى ، لأن الجلال وحده في هذا النوع من الحب سيكون العناد . ولو كان الأمر كذلك لأحبينا كل الجيلات اللاني يمررن بنا في الشوارع ، واندلجنا في ممشات الشاشة . الحب وليد خبرة ومعرفة ودراسة . والخبرة والمعرفة والدراسة أمور يختص بها العقل وحده . والعقل يتدخل أيضاً ليعرف إذا كان صاحبه محبوباً أم لا . وعلى هذا الهدى يتجه القلب .

قال صديق آخر : لعلك بحق فيما ذهبت إليه ، ولو أن الواقع لا يؤيدك .

— إن الواقع لا يؤيد هذا لأن الفكرة السائدة عند القوم أن الحب لا يكون إلا من النظرة الأولى . وذلك ما يجرم إلى هذا الحب . إنهم يعتقدون أنهم أحبوا وهم في الواقع براء من الحب — حسن . . ولكن ما مسألة حب المنطق هذه ؟ إن بمدت الحبيبة أحسست بالشوق إليها في عقلك ؟ وإن خفت خافت فيك عند اللقاء أياكون ذلك الخافق عقلك ؟ كيف ينهي للعقل أن يحب ؟

— إنني لم أقل هذا . ويظهر أنك لم تحسن قراءة المقال . بل إنني أرى أنه لا شيء في الإنسان يحب غير قلبه . ولكن كيف يبدأ هذا الحب ؟ بالقلب وحده ؟ أم أن العقل يتدخل في هذا الأمر ؟ إنني أرى أن العقل والإرادة يتدخلان ، حتى إذا تم الحب ، فإنهما يعتمدان كل البعد ولا رأى لهما في الأمر بعد هذا . بل إن الحب إذا أحب بفكر بقلبه . . وبقائه وحده ، ولهذا يخشى عليه إذا كان لم يحسن الاختيار في بادى الأمر . هذا ما أقصد إليه . لعلك فهمت . فإن لم تكن فأت مثل صديقك هذا لا تريد أن تفهم